

دور الحركات الطلابية والنخب الإفريقية في حركة تحرير افريقيا مساهمة تاريخية

د/كمال بيرم

جامعة محمد بوضياف - المسيلة-

مقدمة :

يجمع المؤرخون أن ميلاد النخب الإفريقية جاء بعد مخاض عسير وسط التراكم المعرفي الذي أفرزه الوجود الاستعماري، الذي هيمن منذ الوهلة الأولى على منابع المعرفة الثقافية والاجتماعية وتمزيقها عن مرجعيتها الحضارية. لذلك تطرح أمامنا العديد من التساؤلات حول بروز النخبة الإفريقية الوطنية، وهل كان وجودها هو بمثابة امتداد لتراكمات الماضي الوطني، ومن ثم الأخذ في الحسبان في منهجية البناء بعامل الأصالة و التراث؟ أم أن وجود هذه النخب يعد من المظاهر الحافظة لاستمرارية الولاء لكل ما هو استعماري بعد أن تشعب هذا الجيل بالمبادئ الغربية وعلى وجه الخصوص الفرنسية والبريطانية.

و لا غرابة أن تعد الحقبة الأخيرة من القرن التاسع عشر بداية حاسمة في عملية تشكيل الفضاء الثقافي في إفريقيا باللغات الأوربية؛ وتحلى ذلك بالخصوص عند رجيل هام من الأفارقة الذين درسوا في المدرسة الفرنسية أو البريطانية وغيرهما، ومن أمثلة هؤلاء فرحات عباس والحبيب بورقيبة وليوبولد سنغور وبارتريس لومومبا وكوامي نيكروما وجومو كينياتا واتنا ديوب وآخرين.

أعطت هذه النخب انطلاقة هامة في مجال الكتابة والنشر والتأليف في النصف الأول من القرن العشرين بصفة سريعة جعلتهم مرجعية في الخطاب الوطني والتحرري. إلا أن الظاهر أن الاختلاف في منابع التكوين الفكري و المحيط الجغرافي، وحتى الانتماء العائلي للطلبة الأفارقة، قد ترك فعلته على مسار تطور الحياة الطلابية، بل دفعها أحيانا إلى الجنوح نحو الصراع وحتى التآكل الذاتي، والاختلاف في الأطروحات والمناهج وكان الاختلاف في المبادئ قد وسع الهوة بين أجنحة الانتليجانسيا الإفريقية¹ حول قضايا الفكر، ولعل ذلك ما

1 - A G E R O N , C. R. (. Les chemins de la décolonisation de l'Empire colonial français., Colloque organisé par l'Institut d'histoire du temps présent . Paris, (IHTP) les 4 et 5 octobre 1984

وضحه المستشرق الفرنسي أغوستين بيرك في كتاباته حول النخبة في شمال إفريقيا في سنة 1946 بقوله: "أنهم هنا يفكرون ليس من أجل التفكير وإنما ضد بعضهم البعض".¹ هؤلاء الرجال الجدد الوافدين من المدارس و الكليات الفرنسية والبريطانية بعد أن اندمجوا في البناءات الاستعمارية، أصبحت اللغة الفرنسية أو البريطانية أو البرتغالية عندهم هي لغة العمل والتخاطب. وهكذا نجد أن طابع التعليم الرسمي الذي تلقاه الطلبة الأفارقة، سواء في الداخل أو في المهجر، أكسبهم تربية خاصة ونوعا من الديمقراطية المستوحاة من فلاسفة القرن الثامن عشر و مبادئ الثورة الفرنسية 1789، وقد تلقوا أفكار الحرية و المساواة و العدالة و حقوق الإنسان، وهذه المبادئ والأفكار كانت منعقدة ومرفوضة من طرف السياسة الاستعمارية، و لهذا فإننا نجد أن الكثير من الطلبة الأفارقة قد تشبعوا بهذه المبادئ و هم على مقاعد المدارس و في الجامعات .

إن منع التحصيل العلمي الغربي جعل هذه الزمرة من الطلبة يغترون بالشعارات السائدة في فرنسا وأوروبا منها المساواة و حقوق الإنسان، وعندما تبلورت حركتهم حاولوا أن يوجهوا أفكارهم في قوالب معقولة لدى الاستعمار، تدعو إلى المصالحة و نسيان الماضي و تحقيق التعاون و التكامل في إطار الأبوة الفرنسية، وذلك ما دعت إليه شبيبة القرن العشرين² ، وعلى الرغم مما اكتسبته البعثات الطلابية الموفدة إلى البلاد الأوروبية و العالم الجديد من علوم و فنون و التعرف على ما لم تجده في بلدانهم، إلا أنها شحنت بقنابل موقوتة لم تكن خادمة لوطنها، استبدلت في فكرها و عقيدتها، و تكونت لديها هوة سحيقة بين أصالتها و بين معاصرتها للواقع المعاش أحيانا، وقد كتب في ذلك الصدد أحد المهتمين بالبعثات الطلابية إلى الخارج بقوله: "وتقاطرت البعثات على الدول الأوروبية من أبناء المسلمين و كانت هذه نهاية المطاف في الإجهاز على بقايا العالم الإسلامي... بحيث لا يرجعون إلا وقد تأثروا بوجهة الغرب و فلسفته، أو أخذوا طريقة العيش، و التربية"³، كما أشار في نفس السياق فرحات عباس: "وقد واجهتنا في هذا المجال مشاكل عديدة مثل مشكلة المحافظة على الثقافة و اللغة العربية و مشكلة توجيه الطلبة و تخصصهم الدراسي"⁴.

أولا / نشأة الحركات الطلابية الإفريقية و تطورها:

الشائع أن ميلاد التنظيمات الطلابية العالمية بدأ في فرنسا أثناء حكم الجمهورية الثالثة، إذ برزت العديد من التشكيلات الطلابية في الجامعات الفرنسية، منها جمعية الطلبة في كل من جامعة بوردو سنة 1877 و باريس سنة

1- صالح جديد، الانتليجانسيا الشابة و الزمن نحو التحرر، جريدة رسالة الأطلس، عدد 235، الموافق ل 5 فيريل 1999

2 - Ferhat Abbas ; **Le Jeune Algérien** (Garnier Frère Paris 1931) P9

3 - **De la Fournière et François boulla** ,**Le syndicalisme**, édition du seuil 1957, P36

4 - Guy pervillé, **les étudiants Algériens de l'université française 1880-1962**, France C.N.R.S 1984,P 57

1884 وفي جامعة نانسي سنة 1877، و مرحليا تعايشت هذه التشكيلات الطلابية وتوحدت تحت أسم الاتحاد الوطني للجمعيات الطلابية الفرنسية (l'union nationale des associations estudiantines françaises)، وقد أسس الاتحاد الوطني للجمعيات الطلابية الفرنسية فروعاً له في الجامعات المتواجدة بالمستعمرات و منها الجزائر و حسب بير فيلي فإن الاتحاد الوطني للجمعيات الطلابية الفرنسية تحول فيما بعد إلى الاتحاد الوطني لطلبة فرنسا¹. (U.N.E.F) union nationale des étudiants français، فمن دون شك أن الطلبة الأفارقة قد عاصروا هذه التشكيلات الطلابية سواء في فرنسا أو في الجامعات الإفريقية التي استحدثتها الاستعمار في الجزائر² والسنغال و جنوب إفريقيا وغيرهم، و أخذوا عنها العمل النضالي الطلابي.

كانت منطقة شمال إفريقيا سباقة في تأسيس هذه التنظيمات التي انضوت في إطار ظهور الحركات الوطنية، بحيث يتفق الدارسون للتاريخ الطلابي المغاربي أن النشأة الأولى للفعل الطلابي و للحركة الطلابية كانت في تونس، وكانت نشأة زيتونية، بمعنى ولادة تلك الحركة في أروقة جامع الزيتونة، وتعود جذور الفعل الطلابي الزيتوني في تونس إلى سنة 1910. وعلى الرغم من أن عدد الطلبة الزيتونيين لم يتجاوز الألف طالب إلى حدود ذلك التاريخ، إلا أن تلك الشريحة تمكنت من خوض بعض التحركات التي ارتبطت في الذاكرة بتحسين وضعهم المادي، حتى أنهم وجهوا عريضة إلى الحكومة يطالبونها بتحسين ظروف الدراسة والإقامة والإعفاء من الخدمة العسكرية.

تأسست في الجزائر سنة 1919 جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا (Association Des étudiants musulmans nord Africains)، ونشطت بباريس منذ 1927، كان ضمنها الطلبة الذين شكلوا فيما بعد رواد الحركات الوطنية المغاربية أمثال علال الفاسي وبلا فريج من المغرب وصالح بن يوسف وبورقيبة وسالم الشاذلي من تونس إضافة إلى بعض الجزائريين أمثال فرحات عباس وبن جلول، وكانت الجمعيات المغاربية الأكثر انتشاراً وحركية بباريس من خلال نشاطات روادها في الصحافة والتجمعات التي أخذت بما التنظيمات المغاربية ومنها جمعية ودادية التلاميذ المسلمين لشمال إفريقيا L'association amicale des élèves musulmans nord Africains³، وعرفت كل من تونس و المغرب و الجزائر و غربي إفريقيا وجنوبيها ميلاد تشكيلات طلابية عديدة، ففي سنة 1920 أسس عبد العزيز الثعالبي جمعية الطلبة التونسيين الدارسين بباريس، تأسست لحركة الطلابية متأثرة بالإصلاح الديني. ويبقى وزن هذه التنظيمات مرتبط بعدد الطلبة المنضوين تحتها والذي بقي ضعيف إلى فترات متأخرة

1 - A G E R O N (C. R). *France coloniale ou parti colonial*, Paris, 1978., PUF, 302.

7- A G E R O N (C. R), *Histoire de l'Algérie contemporaine de l'insurrection de 1871 au déclenchement de la guerre de libération*, T2(P. U. F. 1979) , P 5381918

8 - ibid.

من ظهور الحركات الوطنية السياسية. إذ تذكر النشرة السنوية لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا أن عدد طلبة المغرب العربي بفرنسا ما بين 1935 - 1931 بلغ حوالي 152 طالبا منهم 11 من المغرب و 21 من الجزائر و 119 من تونس.

1. نشأة التنظيمات الطلابية الإفريقية:

بدأ تأسيس الجمعيات الطلابية يأخذ منحى التوسع بعواصم الميترربول بلندن وباريس منذ الحرب العالمية الأولى ،حيث تأسس بلندن اتحاد الطلبة المنحدرين من إفريقيا السوداء¹ سنة 1917 (Union des étudiants descendant de l'Afrique noire). واتحاد تطور نيجيريا سنة 1924 وتعاضدية الطلبة الإثيوبيين بباريس (mutuelle des étudiants éthiopiens) سنة 1920 واتحاد طلبة غرب إفريقيا (West Union African Student) سنة 1925 وهي أقوى الاتحادات والتنظيمات الطلابية التي تأسست بلندن، وتشكلت باندماج عدة تنظيمات طلابية افريقية بحضور 21 طالبا من نيجيريا وغانا وسيراليون وغامبيا، وكان من أهدافها بعث التاريخ الإفريقي وتمثيل مصالح الطلبة الأفارقة وإعطاء صورة طيبة لإفريقيا، وتشجيع الروح الوطنية والاعتزاز بالإفريقية.

وساهم هذا التنظيم من خلال التجمعات والمحاضرات والبيانات أن ينقل اهتمام الحركات الوطنية إلى السياسيين البريطانيين حول مسألة الدومينيوم ومستقبل إفريقيا الغربية، وبخاصة بعد ميثاق الأطلسي ونهاية الحرب، وطالب التنظيم في سنة 1941 أن يكون لإفريقيا الغربية مجالس بلدية بأغلبية افريقية، وأن يعطى حق الانتخاب للأفارقة، وشارك التنظيم في المحافل الطلابية العالمية ببرلين وبكين وبراغ. وناضل التنظيم ضد احتلال إثيوبيا في سنة 1935. ومنذ 1945 دخل أعضاء التنظيم إلى أوطانهم بإفريقيا، وبادروا في تنظيم وتوجيه الحركات الوطنية، ونجد ضمن عناصره كل من كوامي نيكروما من غانا، واوديسانيا واكبانا من نيجيريا، اللذان لعبا دورا مصيريا في تحرير نيجيريا، كما كان للتنظيم تأثير على شرق إفريقيا ككينيا وتنزانيا وأوغندا، بحيث ربط جومو كينييانا علاقات وطيدة مع اتحاد طلبة غرب إفريقيا.

كما تأسست جمعية الطلبة الملغاشيين (association des étudiants malgaches) في سنة 1934. وتشكلت ضمن المستعمرات البريطانية أولى التنظيمات الطلابية، وبخاصة في إثيوبيا منذ 1925، بينما تأخرت

1- A. Adu Boahen : **Les mouvements d'étudiants africains : vue d'ensemble**, Éditions UNESCO/L'Harmattan, pp15-20

في باقي المستعمرات البريطانية، على الرغم من أن بداية بروز الدور الطلابي يرجعه البعض إلى 1935 تاريخ احتلال الحبشة، وهو التاريخ الذي يعتبره البعض بداية التحول في الحركات الوطنية التحررية، وبخاصة في المستعمرات البريطانية، في الوقت الذي طالت فيه مسألة تحرك القوى الوطنية في المستعمرات الفرنسية. فكانت نهاية الحرب العالمية الثانية بداية تحرر المستعمرات الإفريقية، حيث يصل نيكروما سنة 1951 كأول زعيم إفريقي إلى السلطة، وهو من رواد اتحاد طلبة غرب إفريقيا (*West African Student Union*)، ومؤسس الحركة الطلابية في الساحل الغربي لإفريقيا قبل أن تأخذ غانا استقلالها النهائي سنة 1957. وقدم في خطاب استلام السلطة الأمل للأفارقة بالتحرر من الاستعمار.

شكلت كتابات النخب الإفريقية رافدا هاما في دعم الأفكار المناهضة للعنصرية والمساندة للتحرر مثل أشعار ليوبولد سنغور. إضافة إلى المجالات التي غذت الفكر التحرري مثل مجلة الحضور الإفريقي (*présence africaine*) التي كانت منبر الزنوج من أمثال السنغاليين ليوبولد سنغور وبيراغو ديوب والايغوري بيرنارد داداي، ومن الداھومي بول هازومي، والجنوب إفريقي بيتر أبراهام والمارتينيكي¹ ايمي سيزار، واستطاعت هذه الصحيفة أن تتحول إلى دار نشر، ساهمت في نشر الوعي والفكر السياسي والثقافي الإفريقي. ومنذ 1945 تزايد عدد الطلبة الأفارقة بالمهجر حيث توزعوا 79% من غرب إفريقيا الفرنسية 10% من الكامرون والطوغو و11% من مدغشقر، أما من حيث مراتبهم الاجتماعية فنجد 28% من أصحاب المهن الحرة والإطارات و16% من أبناء الموظفين و12% من عائلات مستقرة بالمهجر وأغلبيتهم مسيحيون بينما 28% فقط مسلمون على الرغم من أن منطقة غرب إفريقيا كلها إسلامية.

ويمكن تفسير ضآلة الحركات الطلابية الإفريقية خلال هذه الفترة، إلى قلة الطلبة الأفارقة الذين وصلوا إلى المراحل الجامعية من جهة، وإلى انعدام المراكز الجامعية بالمستعمرات الإفريقية في بداية القرن العشرين، وعلى سبيل المثال كان هناك طالب واحد من تنزانيا، يتعلم بالجامعة البريطانية بين الحربين وحوالي 150 طالبا من غرب إفريقيا يتابعون تعليمهم بأوربا قبل الحرب العالمية الثانية، ومن بلاد المغرب العربي كان 152 طالبا يتابعون تعليمهم العالي بأوربا سنة 1931.

2. تطور التنظيمات الطلابية الإفريقية بعد 1945:

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تحول نجباء الطلبة الأفارقة في عقد الثلاثينات إلى منظري الفكر الإفريقي من خلال الدفاع عن الثقافة الإفريقية للوقوف أمام الكولونيالية الأوربية، وفي قلب العاصمة الفرنسية يمكن التمييز بين التنظيمات الطلابية الإفريقية من حيث التركيبة والتوجه بحيث نجد:

1- L'étudiant d'Afrique noire, n° 14, octobre 1957

-تنظيمات ذات التوجه القطري مثل: الحركات الطلابية الملمغاشية والإثيوبية والجنوب افريقية .

- تنظيمات ذات التوجه الجهوي مثل: الحركة الطلابية لشمال إفريقيا و اتحاد طلبة غرب إفريقيا التي تأسست سنة 1933 برئاسة ليوبولد سنغور، وقد بدأ تنظيم الطلبة الأفارقة بالمهجر ينشط بقوة منذ 1945 عندما أسسوا الجمعية العامة لطلبة إفريقيا بباريس¹ (association générale des étudiants africains de paris)، تعد الفترة الممتدة بين 1950-1960 فترة انبعاث النشاط الوطني لهذه التنظيمات، بحيث شكلوا سنة 1950 فدرالية طلبة إفريقيا السوداء بفرنسا (fédération des étudiants d'Afrique noire de paris)² وبدأت الفدرالية بنضالها الطلابي لتنتقل إلى العمل السياسي بالتنديد بالقانون الإطار لسنة 1946 للاتحاد الفرنسي وقانون ديفيري لسنة 1956، وناهضت المجموعة الإفريقية الفرنسية المشاريع الاستعمارية لشارل دوغول 1958، بحيث قدم المناضل الزنجي فرانز فانون حول ذلك العهد العديد من الكتابات.³

كما عارضت الفدرالية التوجه السياسي لليوبولد سنغور، من خلال أمينها العام محمود ديوب⁴ ومناهضة الامبريالية الجديدة المتعاونة مع الاستعمار. يمكن اعتبار هذه المرحلة كمرحلة تحول جذري في عدد الحركات الطلابية، في مجالها الجغرافي وفي طبيعتها وإيديولوجيتها. ارتفع بشكل كبير عدد الطلبة الأفارقة بعد الحرب العالمية الثانية بإفريقيا، ثم بالمهجر ، وتشكلت النقابات الخاصة بالأساتذة الأفارقة وبالتلاميذ لمختلف المراحل، وخاصة بمنطقة إفريقيا الفرنسية والمغرب العربي، ففي السنغال تأسست سنة 1950 جمعية العامة لطلبة داكار، والجمعية الإسلامية لطلبة داكار سنة 1953 والتي كانت تناضل ضد مسالة التنصير بالسنغال. ومنذ 1950 نلاحظ تزايد انتشار الجمعيات الطلابية بأوروبا خاصة بفرنسا وبريطانيا وتنتقل الى الإطار الوطني الضيق مثل اتحاد طلبة غانا (Union des étudiant de Ghana) واتحاد طلبة نيجيريا (nigériens student union) 1958، كما تحول مجمع الدراسات السياسية

1 - F. Fanon, « Racisme et culture », **Présence africaine**, numéro spécial, 1958, p. 19.

2 - Sékou Traore, **La Fédération des étudiants d'Afrique noire en France (FFANF)**, Paris. L'Harmattan. 19X5. pp. 16-19

3 - F. Fanon, « **Deuxième congrès des écrivains et artistes noirs**, Rome, 26 mars-1er avril 1959.

4 - قدم الشيخ ديوب أول مقاربة تحليلية لمسالة الثقافة الإفريقية من خلال تميزها من خلال أطروحة التي حملت عنوان "امة سوداء وثقافة " وتعتبر هذه الأطروحة عملا جديدا بالنسبة للمناضلين الأفارقة الذين اعتقدوا أن مسالة الثقافة الإفريقية بعيدة عن الطرح في إطار العمل النقابي ضمن منظومة الاحتلال. وكان ديوب يلح على أن النخبة الإفريقية تتحمل مسؤولية اكتشاف إفريقيا وثقافتها. .

5- Cheikh Anta Diop, « D e l'identité culturelle », dans : **L'affirmation de l'identité culturelle et la formation de la conscience nationale dans l'Afrique contemporaine**, Paris, U N E S C O , 1981, p. 64

الإفريقية (écueil des études politiques africaines) الذي تأسس سنة 1947 إلى اسم جديد هو المجمع الإفريقي للأبحاث الاقتصادية والسياسية، ونظرا لنشاطه المضاد لسياسة الاستعمار فقد حل وتوقف نشاطه ليظهر منذ 1950 باسم قانوني جديد هو جمعية طلبة التجمع الديمقراطي الإفريقي (Association des étudiants du rassemblement démocratique africain) بقيادة الشيخ أنتا ديوب (Anta diop)، الذي رسم معالمها من خلال نضاله وكتابه في جريدة "صوت إفريقيا السوداء" منذ 1952 بساحل العاج، وساهم ديوب في تأسيس "فدرالية طلبة إفريقيا السوداء بفرنسا" سنة 1956، والتي اعتبرت الحركة الأكثر نشاط وتمثيل للطلبة الأفارقة¹. وشددت هذه الجمعية من خلال شخص ديوب على مناهضة الامبريالية والاستعمار ورفض الاندماج بأوروبا، وحرصت على الشخصية الوطنية الإفريقية. ومن جانب آخر كان التيار الطلابي للأفارقة السود، ينشط بباريس من خلال جريدة "طالب ساحل العاج" منذ 1954 وكان من كتابها فيليكس بوانبي، الذي تولى رئاسة ساحل العاج بعد الاستقلال.

وكانت اهتمامات هذه الحركات الطلابية في بداية أمرها تلامس الشأن الاجتماعي والمهني، أو ما تعلق بتنمية طرق التدريس وأحواله وظروفه، وكان الشأن السياسي ربما يختفي في أفكار هذه الحركات ويتطور بتطور الاستعمار وحركة سير العالم. انحصر انشغال الطلبة الأفارقة بالمهجر في كيفية الحصول على الإيواء والمنح والمخيمات. قبل أن تنتقل إلى النضال الوطني ضمن الأحزاب السياسية التي تحول طلبتها إلى رواد النضال الوطني.

ثانيا / وسائل نضال الحركات الطلابية الإفريقية

كان من بين وسائل الجمعيات الطلابية وكذا الحركات النقابية الإفريقية في نشاطها ونضالها الصحف والمجلات والنشرات والملصقات، مثل "جريدة المغرب" لجمعية طلبة شمال إفريقيا والتي أصدرت كتاب "عاصفة على المغرب" الذي احدث زلزالا عنيف في الوسط الاستعماري الفرنسي، وكانت الجمعية تنشط أكثر من سبعة محاضرات سنويا، وجريدة "الهلال الزيتونية" التي كانت تعادي الاستعمار والتي أقامت إضرابات احتجاجية سنة 1910 وجريدة صوت إفريقيا السوداء (la voix de l'Afrique noire) والطلاب العاجي وجريدة "تام تام" للطلبة إفريقيا السود بباريس وجريدة "داكار الطالب" 1954 وكذا صحيفة طالب إفريقيا السوداء (l'étudiant de l'Afrique noire)،

1- le rôle des mouvement d'étudiants africains dans l'évolution politique et sociale de l'Afrique de 1900 à 1960, ed, unesco-harmattan.-

وهي لسان حال فدرالية طلبة إفريقيا السوداء بباريس،¹ وكانت هذه الحركات الطلابية أقرب إلى الحركات الوطنية، ومنها سميت بالوطنية الثقافية. أخذت من الثورة التحريرية وأحداث المغرب وتونس مثال للعمل الثوري لانطلاقة جديدة في نضال الحركة الطلابية الإفريقية، حيث كتبت صحف الحركات الطلابية الإفريقية منذ 1956 مقالات ذات بعد راديكالي جديد، استوحته من الفعل المسلح لشمال إفريقيا. خلصت أغلب نصوصها على أن "الاستقلال لا يجب أن يعطى بإضافة إصلاحات إنما بالكفاح المسلح للطبقات الشعبية الإفريقية"، كما جاء على لسان جريدة صوت إفريقيا السوداء 1958/1/18 وكتبت في نفس السياق جريدة الطالب السوداني 1958 /5/5، وجاء في صحيفة صوت إفريقيا السوداء 1958/2/18 الاتحاد العام لطلبة غرب إفريقيا إشادة بالكفاح المسلح الذي تقوم به الجزائر مع نضال الكامرون والظوغو من أجل يقظة الشعوب الإفريقية 1958 وساهمت فدرالية طلبة إفريقيا السوداء في دعم الثورة الجزائرية من خلال العديد من المظاهرات المؤيدة لاتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين، حيث كلفت المحامي جاك فيرجيس بتحرير مؤلف بعنوان "دم باندونغ" والذي فضح فيه الإجرام الفرنسي ضد الثورة الجزائرية، والذي صودر بسرعة من قبل البوليس الفرنسي.²

ثالثا / دور النخب الإفريقية في حركة التحرر:

إضافة إلى دور النخب المغاربية التي انطلقت من العمل الطلابي إلى النضال السياسي الحزبي مثل علال الفاسي والحبيب بورقيبة وفرحات عباس وصالح بن يوسف وبلا فريج ومساهماتهم المغاربية في إطار مكتب المغرب العربي ولجنة تحرير المغرب العربي، ودورهم في مناهضة الاستعمار، وهو دور معروف عند أغلب الباحثين، نجد رواد العمل السياسي والنضال التحرري بإفريقيا قد تدرجوا من النضال الطلابي الجهوي إلى الزعامة الوطنية التحررية، وشكلوا نواة العمل الوطني التحرري في إطار نشاطاتهم الطلابية ومساهماتهم الصحفية وكتاباتهم السياسية والأدبية ومنهم على سبيل المثال:

- **كوامي نيكروما**: يمثل الزعيم الغاني نيكروما توجهها إفريقيا رائدا في النضال التحرري الإفريقي، حيث شكل فكرا قائما بذاته عرف عند البعض بالنيكرومانية (ملائمة الاشتراكية العالمية بالواقع الإفريقي) وهو الذي كان يرى أنه لا معنى لاستقلال غانا إذا لم تتحرر كل إفريقيا³، وفي هذا الإطار يبرز دور الرائد نيكروما كوامي الذي تزعم العمل الطلابي منذ

1- نشرت الفدرالية عملا جماعيا سنة 1958 بعنوان "دم باندونغ" ساهم فيه أربعة محامين منهم المحامي جاك فيرجيس و السنغالي ساخ ديوف والغودلوبي رايموند فارادان جاء في افتتاحية هذا العمل إهداء إلى محامي جبهة التحرير الوطني الجزائرية وندد المقال بالإعمال الإجرامية التي ارتكبتها فرنسا بالجزائر.

- L'étudiant Monde (Paris), 15 juin 1958 .-de. d'Afrique noire, op. cit .

2 - L'étudiant d'Afrique noire, n° 31, janvier-février 1961, déclaration commune de politique générale de la F E A N F et de l'Union générale des étudiants d'Afrique occidentale (U G E A O).

3 - L'étudiant d'Afrique noire (n° 31, janvier-février 1961) rendant compte de la résolution de politique. générale de la F E A N F

أن كان طالبا بلندن حيث حاول سنة 1958 بعد تأسيس منظمة مجلس إفريقيا تجميع وتوحيد الحركات الطلابية التي تحت الاستعمار البريطاني من أجل النضال والترويج للحركة الإفريقية (panafricanisme) ودفاعه عن تحرر إفريقيا منذ مؤتمر أكرا 1958 وصلاته برواد الحركات التحررية ومنها الثورة الجزائرية¹.

- **ليوبولد سنغور** وهو من النخبة الطلابية التي تدرجت في العمل الوطني، وهو رائد من رواد الأدب الإفريقي بعد حصوله على شهادة الثانوية سافر عام 1928 للدراسة في العاصمة الفرنسية باريس، ودخل جامعة السوربون الشهيرة فكان أول إفريقي يتخرج من هذه الجامعة، مبرزا في علم النحو والأدب الفرنسي وقاد العمل الطلابي الإفريقي من خلال علاقته الوثيقة بالأديب والسياسي المارتينيكي الراحل إيميه سيزار، فقد عاشا سويا لفترة طويلة وجمعتهم ظروف الدراسة وكانا وراء إطلاق الميثاق السياسي والأدبي لحركة "الزنجية"، التي أصبحت فيما بعد بطاقة هوية اجتماعية وأدبية للزنج²

دافع سنغور وصديقه سيزار في فرنسا عن "الزنجية"، وتعني اعتراف المرء بواقع كونه أسود، وقبوله بهذا الواقع وتقدير السود تاريخا وثقافة، واعتبر سنغور أن "الزنجية" أو (la négritude) هي: "مجموعة القيم الاقتصادية والسياسية والفكرية والمعنوية والفنية والاجتماعية لدى شعوب أفريقيا والأقليات السوداء في أميركا وآسيا وأوقيانيا كما قاد النضال ضد الاستعمار بمشاركة في المؤتمر المناهض للاستعمار ببروكسل سنة 1927 إلى جانب مصالي الحاج وشكيب ارسلان كما نجد المناضل "موديو كيتا" وهو من رواد النضال الطلابي والوطني بإفريقيا ومن مؤسسي جمعية متعلمي إفريقيا ومنشطي جمعية الفن والعمل الإفريقي وأسس سنة 1937 نقابة الأساتذة لإفريقيا الغربية ومؤسس حزب التجمع الديمقراطي الإفريقي سنة 1943 وأصبح رئيس الجمعية التأسيسية لمالي أو السودان الفرنسي الذي كان يجمع السنغال مالي الداومي وفولتا العليا.

- **باتريس لومومبا:** يعد من رواد النضال الإفريقي ضد الاستعمار، وهو من أبناء النخبة الكونغولية التي حظيت بالتعليم في فترة الاستعمار البلجيكي، حيث تلقى التعليم الأولي بالمدارس التبشيرية، ثم التحق بمدرسة لتدريب عمال البريد في ليوبولدفيل، عقد خلال عمله علاقات وثيقة مع القبائل الإفريقية المختلفة شارك في مؤتمر أكرا الممهد لمنظمة الوحدة الإفريقية في ديسمبر عام 1958، وأسس حزب الحركة الوطنية الكونغولية الذي يهدف للاستقلال والوحدة

1- JULIEN, C. - A. :. **Une pensée anticolonialiste** : positions 1914-1979, Paris, Sindbad, p 267

3 - Jean-Paul Sartre, « Orphée noir », in Léopold Sédar Senghor. **Anthologie de la nouvelle poésie nègre et malgache de langue française**, Paris, Presses universitaires de France, 1948

الوطنية، وكانت أقوى الحركات السياسية في الكونغو، كما رأس تحرير جريدة الاستقلال، وقام بالاتصال بعدة أطراف إقليمية ودولية لتأييد حق بلاده في الاستقلال، وكان يحث الجماهير بخطبه النارية وبمقالاته الحماسية في الصحف المحلية والخارجية، يشرح فيها جرائم البلجيك ضد شعبه وبلده معتمداً على البراهين والأدلة المستقاة من ملاحظاته والتقارير والإحصاءات الصادرة من الأوساط البلجيكية حول الأموال الطائلة التي هربها المستعمر الى بلجيكا. فحظي لومومبا بشعبية واسعة وقاد مظاهرات ومواجهات مع الاستعمار البلجيكي عام 1959 قاد مفاوضات مؤتمر المائدة المستديرة التي كانت تجري في بروكسل لبحث مستقبل الكونغو. شكل لومومبا أول حكومة كونغولية منتخبة في 23 يونيو/ حزيران 1960 وحرص على أن تضم حكومته كل القوي الوطنية وأصدر عدة قرارات عشية استقلال البلاد لإبعاد البلجيكين عن إدارة شؤون البلاد.

الخاتمة :

من خلال ما سبق تعرفنا على ملامح نشأة وتطور أهم التنظيمات الطلابية الإفريقية ورموز النضال الإفريقي، وقد تبين لنا أنها تدرجت عبر النضال الطلابي كسبيل للنضال السياسي، والذي شكل دعامة أساسية، في تأسيس الحركات الوطنية الإفريقية ضد السيطرة الاستعمارية الأوربية، وذلك بأشكالها التقليدية والجديدة والتي رغم مشاربها الفكرية المختلفة إلا أنها جمعت بين الأصالة الإفريقية وبين الحداثة الأوربية في كسب الحقوق وتحقيق الانتصار السياسي لأوطانها.